11 me Année No. 511

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

Lundi - 19 - 4 - 1943

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥١١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٩ أبريل سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

القراءة فى زمن الحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

هل للاقبال على القراءة فى زمن الحرب أسباب حقيقية ؟ وإن كانت لها أسباب حقيقية فما هى ؟ وكيف يستفاد من هذا الإقبال خير فائدة ؟

تلك بعض الأسئلة التى استخلصتها من خطاب مطول فى هذا الموضوع ، وأحسبه من أحق الموضوعات بالدراسة فى الوقت الحاضر ، لأنه موضوع القراءة الذى تنطوى فيه سائر الدراسات

فأما أن الإقبال على القراءة له أسباب حقيقية فذلك ما ليس فيه شك ولا يحتاج إلى بينة

إذ كل شيء حاصل فله لا محالة أسبابه الحقيقية ، وإلا لم يحصل ولم يكن له وجود ، وإنما يجوز الخلاف فى دوام هذه الأسباب وزوالها ، أو فى قوتها وضعفها ، أو فى خلوصها وما قد يشوبها من العوارض الغريبة عنها

فأما أنها حقيقية فذلك أمر لا محل فيه للخلاف

والأسباب التى تدعو إلى الإقبال على القراءة فى هذه الفترة كثيرة لا تنحصر فى ناحية واحدة ، وقد تنحصر فى جملة الأسباب التالية

فمنها أن البريد الأوربى لا يحمل إلى مصر كل ما كان يحمله إليها من الكتب والصحف والمجلات من معظم البلدان

فقد كان يرد إلى مصر بريد حافل بهذه المطبوعات فى كل أسبوع ، وكان له قراء مثابرون على مطالعته كلما وصلت رسالة من رسالاته . فانقطع بعض الذى كان يصل من فرنسا وبلجيكا وإيطاليا وألمانيا ، وقل وصول بعض الذى كان يصل من انجلترا وأمريكا ، وتحول قراؤه إلى مراجع أخرى يشغلون بها وقت القراءة ، ومعظمها من المراجع العربية الحديثة أو القديمة

ومن تلك الأسباب أن الصحف اليومية كانت منها صحف تصدر فى أربع وعشرين صفحة أو عشرين ، وصحف تصدر فى ست عشرة صفحة ولا تقل عنها ، وكانت إلى جانبها صحف أسبوعية تصدر فى أربعين صفحة وتزيد عليها فى بعض الأسابيع

فنقص كل ذلك نقصاناً بيناً بغير تدريج طويل ، وأصبح الحد الأقصى للصحيفة اليومية فى أكثر الأيام أربع صفحات ، وعم النقص سائر الصحف والمجلات فأوشكت أن تصدر فى نصف عدد صفحاتها قبل الحرب الحاضرة

وكل هذا النقص تقابله زيادة فى وقت القراءة عند من تعودوا مطالعة الصحف والمجلات فى حجمها الأول ، ولا بد لهذا الوقت من شاغل يناسبه ويجرى فى مجراه

وإلى جانب النقص فى الصفحات ألف الناس الأخبار التى لا يعرض لها كثير من التنويع والمفاجأة ، وندرت المناقشات السياسية التى يشتد فيها الجذب والدفع والتأييد والتفنيد ، وينشط القراء إلى متابعتها بحماسة التشيع تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك ، فأصاب القراء شىء من الفتور إلى جانب النقص فى المادة المقروءة لو أنهم نشطوا إليها .

* * *

ومع هذا كله كثر الوقت الذى يتسع للقراءة لانصراف الناس عن السهر فى خارج البيوت ، إما لتقييد الإضاءة أو لقلة الجديد فى دور الصور المتحركة ودور التمثيل

ومع هـذا وذاك كثرت النقود بين الأيدى وتيسر شراء الكتب بالأثمان التى أوجبها غلاء الورق وغلاء تكاليف الطباعة ، وقال الخبراء بشئون الاقتصاد إن كثرة النقود فى الآونة الحاضرة دليل على رخاء صحيح وليست من عوارض التضخم التى تنشأ أحياناً من شيوع العملة الورقية ؛ إذ الناس يبيعون محصولاتهم وتبقى معهم أثمانها فى داخل البلاد ، خلافاً لما كان يحدث قبل سنوات من تصريف هـذه الأثمان إلى خارج القطر بالسفر أو باستجلاب البضائع الأجنبية . فهذه الأثمان المحفوظة فى البلاد وهى ثروة حقيقية مكسوبة من موارد حقيقية وليست بالثروة المصطنعة التى تنشأ من شيوع الورق النقدى بغير مقابل معروف

* * *

وخلاصة ما تقدم أن الإقبال على قراءة الكتب العربية يرجع إلى تحول بعض القراء من مادة إلى مادة ، وإلى اتساع وقت القراءة ، وإلى تيسر الشراء ، ويدوم ما دامت هذه الأسباب

فإذا ضعفت طاقة الشراء ، أو ضاق وقت القراءة ، أو توافرت المادة الأولى التى كانت متوافرة قبل سنوات ، فقد يتغير هذا الإقبال ، وقد تثوب الحال إلى ما كانت عليه من قبل ، أو تتمخض عن حال جديد لم نعهده حتى الآن

هذا الحال الجديد الذى لم نعهده حتى الآن قد يأتى من ناحية واحدة معلقة على تيسر الورق وتيسر الطباعة

فإذا تيسر الورق وتيسرت الطباعة بقية أيام الحرب ثبتت فى البلاد العربية عادة يصعب تغييرها ، وإن عاد البريد الأوربى إلى نظامه السابق وعادت الصحف اليومية والأسبوعية إلى نطاقها الأول :

تثبت عادة القراءة فى الكتب وحسبانها فى حاجات الحياة المصرية ومطالب المجتمع المهذب ، فإنها عادة قد تأصل فى مصر كما تأصلت فى البلدان الأوربية على كثرة الصحف فيها واتساع صفحاتها وتنوع موضوعاتها

وتزيد هـذه العادة تمكيناً أن يتيسر ورق الطباعة من مصانع وطنية توالى مصر وبلاد الشرق القريب بما هى فى حاجة إليه ؛ فإن رخص الورق يغرى بطبع الكتب الرخيصة التى تقبل عليها جميع الطبقات ، ولا سيما إذا اجتمع لها إغراء الرخص وإغراء الموضوعات

* * *

أما الاستفادة من الإقبال على القراءة فى زمن الحرب خير فائدة مستطاعة فذلك موقوف على معنى الفائدة التى نرى إليها

فمن كانت فائدة الربح فسبيلها أن تعطى « جمهور القراء »

ما يشتهيه من الموضوعات التي يحسبها جديرة بالقراءة ثمينة بالفائدة

وإن كانت فائدة الثقافة فسبيلها أن تعطى جمهور القراء ما هو في الواقع محتاج إلى علمه ، وإن لم يخطر له ذلك

ومما لا شك فيه أن جمهور القراء يحتاج إلى كثير ، وإن كثيراً مما يقرأه لا حاجة به ولا غناء فيه ، وإن الوقت قد حان لتزويده بما يحتاج إلى عرفانه من أحوال العالم اليوم وأحوال العالم بعد نهاية الحرب ، إلى زمن طويل

فبين الموضوعات التي كانت مهملة أكبر إهمال يعاب على أبناء الحضارة في العصر الحاضر ، موضوع المشاكل الاجتماعية والسياسية في قارة أوربا ، وفي البلاد الغربية على الإجمال

فقلَّ جداً في مصر وبلاد الشرق القريب من كان يتابع هذا الموضوع ويعرف ما ينبغي عرفانه من أطوار الفكر وصراع الدخائل الاجتماعية في كل أمة من الأمم وارتباط ذلك جميعه بمقاصد الحكومات ومقاصد الزعماء الذين يقبضون على أعنة تلك الحكومات أو على أعنة الهيئات السياسية

فكم من المصريين المثقفين — ولا نقول الجهلاء — كان يعرف ما ينبغي أن يعرف عن مسألة « التقسيم الجديد » في الولايات المتحدة ؟

وكم منهم كان يعلم حقيقة العناصر التي أيدت هتلر في ميدان السياسة الألمانية ؟ أو حقيقة العناصر التي أيدت فرانكو في ميدان السياسة الإسبانية ؟ أو حقيقة الخلاف بين ستالين وتروتسكي وما يتصل به من خطط روسيا وعلاقاتها بالشرقين الأقصى والأدنى ؟

كم منهم كان يعلم ما وراء البضائع اليابانية المنشورة في أسواقنا من حبائل الاستعمار ومطامع الاستغلال ؟

كم منهم كان يعرف زعماء الأمم على ما فطروا عليه فيعرف ما يصنعونه وما يريدونه وما ليس خليقاً أن يصنعوه أو يريدوه ؟

إن الذين عرفوا ذلك لجد قليلين

وإن الذي أصابنا من جهل ذلك لجد عظيم

لأننا أخذنا بالحرب ولما نتبين من تياراتها كيف تتجه سفينة النجاة ، وكيف تهب رياح الأخطار

فإذا أحببنا ألا تفاجئنا السلم بمثل هذه المفاجأة ، فعلى الذين بأيديهم أمر القراءة والطباعة أن يملأوا الأذهان بالمعارف والمعلومات التي تغني في استطلاع الأحوال والمقاصد بعد الحرب الحاضرة ، إلى زمن طويل

ما الذي تريده هذه الأمة أو تلك ؟

ما الذي يريده هذا الزعيم أو ذاك ؟

وما الذي يخلص فيه ؟ وما الذي يماذق فيه ؟ وما الذي تواتيه عليه الأسباب الحاضرة ؟ وما الذي يخشى أن يعرقله من الأسباب المنظورة ؟

بعض ذلك غيب لا سبيل إلى استطلاعه

وبعض ذلك عيان مشهود أو في حكم العيان المشهود ، من أخبار الأمم ودراسات المفكرين ، وسوابق التاريخ ، وضرورات الاجتماع و « الاقتصاد »

ولا يزال في الوقت متسع لاستدراك ما فات ، ولا يزال الباب مفتوحاً لمن يلج فيه ، ولا تزال الحاجة كل يوم في إلحاح ومزيد من الإلحاح

ومهما يكن من قصر الوقت الباقي من زمن الحرب ، فانقضاء هذا الوقت في معرفة الحقائق والتأهب للطوارق خير من قضائه في الإهمال والتسويف ، وليكن إقبال الناس على القراءة حافزاً لمن يعنيهم أن يقرأوا ما يصلح للفهم في كل زمن وما يصلح للفهم في الزمن الأخير من الحرب على التخصيص . وليس الكتاب وحدهم أصحاب الشأن في الكتابة لأنهم لا يملكون زمام الأمر إلا القليل . فلو كنا على ما نود من توافر الأداة الثقافية لنهض بالأمر جمع قادر أولو جاه ومال يقررون الموضوعات ويوزعون الأبواب وينفقون على ثقة من الكسب وعلى توقع للخسارة في وقت واحد ، أو يراوحون بين ما يربح وما يحتمل الخسارة ، فلا يهمهم أن يربحوا من كل شيء ما داموا لا يخسرون من كل شيء

إننا لقادرون على ذلك لو أردناه

وإننا لمريدوه لو أدركنا دواعيه ، وأدركنا عقباه

فهل ندركها ؟

إن قلنا : « فيها قولان » وكفى ، فنحن متفائلون .

عباس محمود العقاد

روحانية الحياة المدرسية

للدكتور زكي مبارك

مهنة التعليم توحى إلى النفس طمأنينة لا توحيها أية مهنة ، لأن التعليم يقوم على أساس من شرف الغرض لا يعادله أى أساس . والإحصائيات تثبت أن المعلمين أقل الناس تعرضاً للآفات النفسية ، بسبب تلك الطمأنينة الروحية ... وبرغم كثرة التشكي من الغبن الذى يلاحق مهنة التعليم فإن حال المعلمين فى مصر من أحسن الأحوال ، فأكثرهم بحمد الله صاروا من المياسير ، ولعلهم الطائفة الوحيدة التى أعفاها الله من التعطل فى هذا الزمان

والتأمل يلاحظ أن الله يبارك فى أعمار المعلمين وفى أرزاقهم بقدر ما يضمرون من الاخلاص ، وبقدر ما يقاسون من العناء ، لأنها مهنة لا يستريح فيها غير من يرحب بالشقاء ، إن جاز أن يكون مع الإخلاص فى هذه المهنة شقاء

والآفة التى تكدر حيوات المعلمين هى آفة الأسلوب القديم فى الترقيات ؛ فترقية المدرس بمدرسة ابتدائية هى نقله إلى مدرسة ثانوية ، وترقية المدرس بمدرسة ثانوية هى نقله إلى مدرسة عالية أو نقله إلى التفتيش

وكنت أرجو أن يكون الأمر بالعكس . كنت أرجو أن تكون المدرسة الابتدائية هى المكان المختار لأكابر المدرسين ، ليستطيعوا خلق الروحانية فى الحياة المدرسية ، وليكون ذلك شاهداً على الإيمان بقدسية التعليم

المبتدئ هو الذى يحتاج إلى المدرس الكبير العقل والروح ، المدرس الذى صقلته التجارب وراضته على فهم الغرائز والنفوس

والتلاميذ فى المدارس الابتدائية يحتاجون إلى رياضة روحية يقوم بها مدرسون روحيون ، وهم الذين صاروا فى حكم الآباء ، ليكون انتقال التلميذ من البيت إلى المدرسة انتقالاً من رعاية أبوية إلى رعاية روحية

والحق أن المدرسة الابتدائية هى الأساس ، فإن استطعنا أن نخلق فى تلاميذها الشوق إلى الحياة العلمية فسيقل خوفنا عليهم حين يتحولون إلى المدارس الثانوية

والحق أيضاً أن العرف الذى قضى بأن يكون المدرس فى الثانويات أعلى من المدرس فى الابتدائيات قد زعزع قدسية التدريس

يضاف إلى هذا أننا أوجبنا أن تتأثر الترقيات بتلك الاعتبارات ؛ فالمدرس فى الثانوى مرتبه أكبر من المدرس فى الابتدائى ، وكان ذلك لأن المدرس يبدأ عمله فى المدارس الابتدائية ، ثم يتحول إلى المدارس الثانوية بعد أعوام قصار أو طوال

وليس عندى من الاقتراحات ما يصلح لتغيير هذا المنهاج ، فقد فكرت كثيراً فى حل هذه المشكلة ، ولكنى لم أصل إلى شيء ، فهل أستطيع القول بتحويل بعض مدرسى التعليم الثانوى إلى التعليم الابتدائى ؟

وهل أستطيع القول برد جماعة من المفتشين إلى التدريس طائعين لا كارهين ؟

إن مهنتنا لن ترتفع إلا إذا رحب بها كبراؤنا ، ولو دعوناهم إلى التعليم بالمدارس الأولية ، وهى النواة الأصيلة للتعليم والتثقيف

الطفل فى مدارسنا يتيم ، لأننا نبخل عليه بأكابر المدرسين

قلت مثل هذا الكلام منذ أعوام فى مجلة الرسالة فسخر منه سعادة الأستاذ عوض بك إبراهيم ، وأشار إلى أحد مريديه أن يكتب كلمة فى جريدة الدستور يقول فيها : إن وزارة المعارف عملت باقتراحى فعينتنى رئيساً للمدرسة الأولية بقصر الشوق !

وأين من يعرف أنى أعتقد أن الذى فاتنى فى الحياة التعليمية هو أن أكون رئيساً لمدرسة أولية ؟

لو سمحت الظروف بأن أكون مربياً لمئة طفل لرجوت أن أخلق منهم أشبالاً يكونون فى طليعة الجيل الجديد

ما هذا التعالى الذى لا يليق بمهنتنا العالية ؟

المدرس جنديٌّ أمين ، والجنديُّ الأمين لا يقف إلا فى مظان الحتوف ... وتعليم الأطفال مَتعبَة لا يضطلع بها غير كبار الرجال

المهم هو النص على تنزيه مهنتنا من الظواهر الخوادع ، فلا يكون فيها فاضل ولا مفضول إلا بمقدار التفاوت فى الإخلاص

المعلم فى المدرسة الأولية يستطيع مساماة الأستاذ بالجامعة إن صدق من الوجهة المعنوية . وهو لصدقه سينسى فروق الرواتب ، لأن أساتذة الجامعة لا يصلون إلى مناصبهم إلا بعد جهود لا يستطيعها غير أفراد ، فمن حقهم أن يمتازوا برواتب

تعينهم على متابعة ما يجد من التراجم والتآليف ، وعلى مسايرة حيوات العلوم والآداب والفنون

المعلم فى مدرسة أولية يقيم بيته وهو فى صباه ، أما الأستاذ بالجامعة فلا يقيم بيته إلا بعد أن يكتهل ، فعلينا أن نعترف بأن من واجب الدولة أن تراعى حقه فى الجهود التى بذلها من شبابه ومن أمواله ليصلح للحياة الجامعية

وخلاصة القول أنى أرى روحانية المدرسة تتبع روحانية المدرس ، وأرى أن نلتفت إلى المدارس الابتدائية بأكثر مما نصنع ، كأن نختصها بأكابر المدرسين ، وكأن نغير النظرة المألوفة إلى طبقات المدرسين ، بحيث لا يكون طول الثواء بالمدرسة الابتدائية مانعاً من أن يظفر المدرس بمثل نصيب زميله فى المدرسة الثانوية من الدرجات والترقيات

ويوم يكون من حق المدرس أن يفتخر بأن وزارة المعارف رأت أن يقضى حياته كلها فى التعليم الابتدائى لمزايا تعليمية يكون من حقنا أن نطمئن إلى سيادة الروحانية فى الحياة المدرسية

أقول هذا وأنا أعرف أنى أطلب غرضاً لا يتحقق إلا بعد رياضات نفسية تحتاج إلى آماد ؛ فالمدرسون فى جميع بقاع الأرض يريدون الفرار من المدارس الأولية والابتدائية ، ولا يرضى الرجل منهم عن حاله إلا إذا صار إلى التعليم الثانوى ثم العالى . وهذه نزعة تأخذ وقودها من هوى النفس ، وليس لهـا فى نظر التعليم سناد .

* * *

أترك هذا وأنتقل إلى مسألة ثانية ، هى صلة التلميذ بالمدرسة ، الصلة التى توجب أن يحبها أصدق الحب ، على نحو ما كان التلاميذ فى بعض العهود الماضية

والواقع أن تلميذ اليوم تجتذبه قوًى خارجية لم يعرفها التلاميذ من قبل ... وهل ننسى أن المساجد كانت قبل عشرين سنة ملتقى التلاميذ فى أوقات المراجعات ؟ فأين نحن من ذلك الحال الجميل ؟

لا بد من جهاد لجذب التلميذ إلى المدرسة ، بحيث يحبها حب العقل ، وهو أصدق الحب

يجب أن نصل إلى إقناع التلميذ بأن روح المدرسة هو الروح الصديق ، وأن أوقاته فى رحابها هى أوقات الصفاء

فى كلام القدماء : فلان علمه أكبر من عقله ، وفلان عقله أكبر من علمه ، فما معنى ذلك ؟

معناه أن ملكة الفهم تختلف عن ملكة التحصيل بعض الاختلاف .

وعلى ضوء هـذه الفكرة نريد أن نعرف المنهج المختار فى سياسة التعليم فنقول :

أيهما أنفع : قراءة كتاب عن خزان أسوان أو زيارة ذلك الخزان ؟

وأيهما أفضل : نظر الخريطة عشرين مرة أو رسمها مرة واحدة ؟

وحفظ مقامات بديع الزمان أنفع ، أم إنشاء مقامة على غرار تلك المقامات ؟

ثم أثب إلى الغرض فأحكم بأن إنشاء عشرين سطراً أنفع فى تكوين الذهن من قراءة كتاب ، لأن الإنشاء يوقظ القوى النفسية ، ويروضها على التفكير السديد

والتعليم الحق هو الذى يقضى بتقوية الملكات الإبداعية ، هو الذى يخلق عاقلاً لا ناقلاً ، وبين العقل والنقل مراحل طوال

وليس معنى هذا أنى أغض من قيمة الاطلاع ، لا ، ولكن معناه أنى أدعو إلى أن تكون سياسة التعليم قائمة على إعزاز قيمة الفكر عند التلاميذ ، فلا يقرأ أحدهم سطراً إلا وهو يحاول أن يأتى بأروع منه وأبدع ، ولا يسمع درساً إلا وفى خاطره أنه مسئول عن التعقيب عليه بالمبتكر الطريف

ما السبب فى أن يكون الجو المدرسى غير محبوب فى بعض الأحوال ؟

لو أمكن جذب التلميذ بالعقل إلى جو المدرسة لتمنى أن تكون مأواه إلى آخر الزمان

ولكن التلميذ يُسأل عن المواظبة الصورية ، ولا يُجذب إلى المواظبة الروحية

وفى العقوبات المدرسية أن ينسخ التلميذ صفحات من كتاب ، وهذا النوع من العقوبة موجود بالمدرسة الفلانية ، وهو عقوبةٌ حقًّا وصدقاً ، فما يمكن أن يؤذَى التلميذ بأصعب ولا أعنف من أن ينسخ كلاماً هو عن فهمه غير مسئول

هرب الشيخ محمد عبده من الدرس ورجع إلى الريف فأقام به ثلاث سنين ، لأنه طولب بإعراب البسملة قبل أن يفهم الإعراب

ومئات من التلاميذ يحضرون الدروس بالجسم لا بالروح ، فهم غائبون لأنهم لا يفهمون ، وإن لم تفطن المدارس إلى تقييد ذلك الغياب !

ودروس القواعد دروس غير محبوبة ، لهذا السبب ، أعنى أنها لا تقدم إلى التلاميذ مع التعليل ، ولو عللت القواعد بذكر مراميها الأصيلة لأحبها التلاميذ ، لأن الحياة موجودة فى إضافة لفظ إلى لفظ بغاية من القوة والجاذبية ، ولكن أين من يفكر فى التنبيه إلى تلك الحياة ؟

وخلاصة القول أن الغاية من التعليم هى إثارة الشوق إلى فهم الوجود ، وتنمية المواهب تنمية تغنى التلميذ عن المدرس بعد حين ، وتجعل منه روحاً يتطلع إلى السرائر الكونية ، والحقائق الوجودية ، تطلع المتشوف إلى إدراك ما غاب عن الأسلاف ، ولو كانوا من فطاحل العلماء

وكمية المعلومات ليست بالغاية العالية ، وإنما الفهم الصحيح هو الغاية ، ولو تعلق بأقل مقدار من المفهومات

وتصحيح غلطة واحدة فى علم من العلوم أدل على قوة الذاتية من استيعاب جميع العلوم

ونظم خمسة أبيات نظماً صحيحاً فيه روح الشاعرية يدل على قيمة الفتى بأكثر مما يدل حفظه لجميع الدواوين

المهم هو إيقاظ روح الفكر عند التلميذ ، بأن نجعل جميع الدروس وسيلة إلى هذه الغاية ، ولن يتم ذلك إلا إذا استطعنا أن نشغل روحه وفكره وعقله بتعقب ما يرى وما يسمع تعقب الشغف والاشتياق

دخل التلميذ مصطفى كامل على الوزير على مبارك وحاوره بأسلوب غير مقبول ، فقال الوزير للتلميذ : إقرأ هذه اللوحة لأعرف مقدار ذكائك « وكانت طرة كثيرة التلافيف تعجز عن قراءتها التلميذ »

قال الوزير : أنت لا تجيد غير الصياح !

فقال التلميذ : هل يتفضل الوزير فيخبرنى عن عدد السلالم التى يصعدها كل يوم إلى مكتبه هذا منذ أعوام ؟

فقال الوزير : التحدى تافه ولكنه معقول

والواقع أن التعليم عندنا لا يثير التطلع إلى استكشاف المجاهيل ، ولا ينقل خيال التلميذ من أفق إلى آفاق إلا فى أندر الأحوال ...

عمل المدرس لا يتجه إلى تقديم الحقائق ، وإنما يتجه إلى إيجاد الحقائق عن طريق التلاميذ . وأريد أن أقول إن المدرس لا يُخبر ولكنه يَستخبر ، إلى أن يعرف من تلاميذه الخبر اليقين ، وكأنه به من الجهلاء

طريقة التلقين طريقة عقيمة ، وهى لا توقظ عقول التلاميذ وقد ترميهم بالجمود

والدرس هو الفرصة لتنبيه العقول الغافية ، فى الحدود التى تسمح بها براعة المدرس ، والمدرس البارع هو الذى يسوس الدرس سياسة تقضى بأن يشعر كل تلميذ بأنه قد يتلقى سؤالاً بعد لحظات

هل تذكرون الواجبات المدرسية التى يؤديها التلاميذ فى البيوت ؟

إنها ثقيلة جداً ، وبغيضة جداً ، فما السبب فيما تتسم به من الثقل والبغض ؟

يرجع السبب إلى أنها لم تسبق بالتشويق إلى إيجاد الحقائق

ويرجع السبب إلى أننا لم نصل إلى خلق الجاذبية المدرسية .

ويرجع السبب إلى أننا لم نفكر جدياً فى إبداع شخصية التلميذ ...

* * *

وأنا أختم هذه المقالات بتوكيد ما قلته فى صدر مقال اليوم وهو أن مهنة التعليم فى مصر مهنة سعيدة وأصحابها سعداء

المدرس المتبرم ليس بمدرس ، لأن التدريس من أقوى موجبات الابتسام

ولو أردنا شكر الله على أن جعلنا مدرسين لعجزنا عما نريد من الشكران

للمدرس فى كل يوم جهاد ، وهذا مغنم جميل

إن صحت دعوتنا إلى تعميم التعليم فسيكون فى مصر ألوف وألوف من المدرسين ؛ فهل تستطيع مالية الدولة أن تستجيب لما يطمح إليه ألوف وألوف ؟

القناعة هى التاج لمهنتنا السامية ، وغِنى القلوب يستر فقر الجيوب . وهل افتقر منا أحدٌ حتى نتوجع ونتفجع بشبهة من الحق ؟

نحن أغنياء وأغنياء ، فلله الحمد وعليه الثناء .

زكى مبارك

على هامش أحلام شهرزاد

٤ ـ قضية اليـــوم

للأستاذ دريني خشبة

قالت فاتنة : « الآن يا صديقي وقد أطلعتك على أطراف من شهرزاد الحكيم ، وعلى أطراف من القصر المسحور ، ووقفتك على المذهب الذي أخذ الكاتب به نفسه ، ولم يفتأ يباهي به ، ويشتط فيه ... الآن وقد علمت أن مشروع (أحلام شهرزاد) كان وعداً موعوداً في القصر المسحور على لسان شهرزاد أراد عميد الأدب العربي أن يذود به عن هذه الشخصية الفذة التي ابتدعها الأديب العبقري القديم الأول ، والتي رمز بها إلى جنس المرأة في كل زمان ومكان ... والآن وقد علمت ما رتأيه الأستاذ توفيق في شهرزاد كل زمان ومكان من غدر وكيد وخيانة وأنانية و ... شَبَق ... الآن يحين لي أن أحدثك عن أحلام شهرزاد حديثاً يروقك وتنزع إليه نفسك ، النزاعة إلى الحق ، المشغوفة بالجمال ، المؤمنة بالكمال

« ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد ! »

هل تذكر هذه القولة التي أخذت مكانها في القصر المسحور عن عمد ؟ ! أما تزال تذكر هذه القولة أيضاً ، وقد أخذت مأمنها من هذا الكتاب كما أخذت مأمنها الكلمة السابقة :

« سيجد عندي علم ما لم يعلم من أمر شهرزاد ! »

ها تان كلمتان ! فهل بر العميد فيما وعد ؟ وكيف صور شهرزاده يا ترى ! وكيف جافى بها عما رسمها الأستاذ توفيق ؟ ثم ما بال أبطاله الآخرين ! هل أخرج لنا ملكاً (ديوتّا) كشهريار الحكيم ؟ أم انتفع شهريارُ العميد بشهرزاده فهذبت طبعه النافر ، وأقامت خلقه المعوج ، ولفتته إلى شئون ملكه يرعاها بعين الخبير البصير ، وعلمته كيف يوائم بين رغبات نفسه ورغبات شعبه ، ثم هي مع هذا وذاك لم تتكشف له كل الانكشاف لتستبقي سحرها في قلبه ، وتحتفظ بسر الجمال الذي يفضحه التبذل ، ويُذيله التهالك في إشباع رغبات الرجال ؟ !

ثم شخصيتي أنا ؟! شخصية فاتنة ؟ تلك الشخصية التي تزرى بكل شخصيات القصص العربي في الأدب المصري الحديث ... أرأيت كيف صورها فأتقن صورتها وأبدعها في أحسن تقويم ؟

وشخصية طهمان بن زهمان ملك الجن ؟ ! هل كان هذا المارد الأحمق الذي يجلس على عرش أمة ليفرغ إلى رغباته ودنايا نفسه كما فعل شهريار الحكيم ؟ أم كان ذاك الحاكم البر الحازم الحكيم الرحيم الذي حكم فعدل فأمن على شعبه كما أمن على ملكه ونشأني على خير منهاج يضمن السعادة لقبيله من الجن من بعده ؟ !

ثم شخصية هذا الطائف العجيب الذي كان يسفر بالأحلام إلى شهريار ينبئه بموعد القصص الشجي الرخيّ الذي ترسله شهرزاد في أحلامها - ما بال هذا الطائف يا ترى ؟

أما شهرزاد الحالمة فإنها من غير شك شهرزاد نبيلة كاملة ، قامت بواجبها في تهذيب شهريار على خير وجه ، وقامت بواجبها نحو وطنها على أحسن صورة ، واحتفظت بسحر أنوثتها فلم تفسده بالتبذل ، ثم هي هذا الملاك الحارس الذي أدّى وظيفته في الحياة كما ينبغي أن يؤدى كل مخلوق كامل وظيفته في الحياة ... يأخذ بحظه منها ولا يجور على حقوق الآخرين ... يعرف أن الحياة جد لا لعب ، وهي مع ذاك جد يخفف جفوته لهو قليل بريء ... لهو بالموسيقا التي تهذب الطبع ، والغزل الحلال الذي لا ينحدر إلى أحضان العبيد ، ولا يسف إلى اتخاذ الأخدان ، ولا يسفل إلى أن يكون خداعاً وخيانةً ولغواً وتأثيماً ... شهرزاد العميد هي هـذا الملاك الحارس الذي أخذ على عاتقه إصلاح شهرياره في النوم وفي اليقظة ... في النوم بإرجاعه إلى محجة الصواب كلما عاوده داؤه القديم فسأل عن سر شهرزاد ، وشهرزاد مع ذاك تطلعه على شطر غير يسير من هذا السر ، ثم تحتفظ لنفسها بشطره الآخر ... الشطر الذي يبقي على سحر الأنوثة في المرأة ، ويجعلها شابة دائماً ، جميلة دائماً ، ساحرة دائماً .. لأنها تعطى من نفسها بقدر ، وتَهَب من ذاتها بمقدار ، فلا تتبذل بكثرة البذل ، ولا تمنح كل ما عندها كي تجد ما تمنحه طوال الحياة التي تربط الزوجين ... وهي لذلك جديدة كل يوم في عين شهريار ، لأنها تسقيه كل يوم كأساً جديدة ... فإذا سألها : « ألا تنبئيني آخر الأمر من أنت وماذا تريدين ؟ » ... أجابت : « من أنا ؟ أنا شهرزاد التي أمتعتك بقصصها أعواماً لأنها كانت خائفة منك والتي تمتعك بحبها الآن لأنها واثقة بك مطمئنة إليك . وماذا أريد ! أريد أن أرى مولاي الملك راضياً سفيداً ناعم البال رخي العيش مبتسماً للحياة كما تبتسم له الحياة » فإذا أعاد بعد ذلك

سؤاله ، قالت له : « من أنا ؟ أنا شهرزاد التي أحبتك قبل أن تعرفك كما لم تحب فتاة رجلاً قط ، والتي خافتك حين عرفتك خوفاً لم يخفه إنسان إنساناً قط ، والتي زفت إليك تتحدى الموت وتتحدى السلطان وتتحدى الحب والبغض جميعاً ، فبلغت من نفسك هذه المنزلة التي تراها والتي لا تراها ، ثم أصبحت الآن وهي لا تفكر إلا فيك ، ولا تفكر إلا بك ، ولا تفكر إلا لك . ماذا أريد ؟ أريد أن تكون سعيداً موفوراً ، ولكني لا أعرف كيف أجعلك سعيداً موفوراً . من أنا ؟ ... أنا من تحب أن ترى في أي ساعة من ساعات النهار ، وفي أي ساعة من ساعات الليل . أنا أمك حين تحتاج إلى حنان الأم ، وأنا أختك حين تحتاج إلى مودة الأخت ، وأنا ابنتك حين تحتاج إلى بر البنت ، وأنا زوجك حين تحتاج إلى عطف الزوج ... وأنا خليلتك حين تحتاج إلى مرح الخليلة ، أنا كل هذا . وماذا أريد ! أريد ما تريده الأم لابنها ، وما تريده الأخت لأخيها ، وما تريده البنت لأبيها ، وما تريده الزوج لزوجها الوفي ، وما تريده العشيقة لعشيقها المفتون . وقد سألتني فألحفت على في السؤال ، أفتأذن لي في أن أسألك ؟ » فيرفع الملك إليها بصره كالمنكر لما تقول ، ولكنها تتضاحك وتتماجن وتسأله : « كيف أراك في هذا المكان من جنة القصر ، حيث كان ينبغي أن أراك في غرفتك تتهيأ للخروج إلى حيث تستقبل وزراءك وتصرف أمور ملكك ، أو أراك قد خرجت مبكراً فأقبلت على شئون الدولة تصرفها حفيًّا بها منكبًّا عليها ... الخ »

فهل رأيت إلى شهرزاد العميد وفرق ما بينها وبين شهرزاد الحكيم ؟ أرأيت كيف صور العميد ما ينبغي أن تكون عليه الزوجة الوفية في كل زمان ومكان ! ! فتكون لزوجها أماً حين يحتاج إلى حنان الأم ، وأختاً حين يحتاج إلى مودة الأخت ، وابنة حين يحتاج إلى بر البنت ، وزوجاً حين يحتاج إلى عطف الزوج ... ثم ... خليلة حين يحتاج إلى مرح الخليلة . يجب أن تكون الزوج كل هذا فهل يرى الأستاذ توفيق هذا الرأي ؟! أم هو موجس ظنّين واجد على المرأة يبشر ضدها بالويل والثبور وعظائم الأمور ، لا يأتمنها على أن تنجب لشهريار غلاماً ذكياً أو غبياً ، ولذلك فهو يرسلها في أحضان العبيد ، ويبيح غرامها للوزير ولغير الوزير ، ويجعلها أنانية لا تفكر إلا في نجاتها هي دون أن تعني بخلاص بنات جنسها

ولقد نبهتك يا صديقي إلى ما التزمته شهرزاد العميد من الغموض أحياناً لتصون جمالها وتجدد سحرها في نفس زوجها ، فهل تدري لماذا حرص الأستاذ الحكيم على أن تكون شهرزاده غامضة ؟ إنه حرص على هذا لتُذهل شهرزادُه لبَّ شهرياره ، وتعصف بقلبه ؛ فغموضها هو من غموض السحراء والمشعبذين وأكلة الثعابين والذين يمشون بأرجل حافية على النار ورؤوس المسامير ... لأن الذين يتفرجون بهذه الشعبذات يقفون حيالها مشدُوهين صَعِقين لما فيها من غموض يذهل ألبابهم ، ولا يدركون له كُنْها ... أما ما ذا وراء هذا الغموض ، فليس وراءه شيء ... ليس وراءه نفع قط ... إن لم يكن وراءه ما يمكن كالأفعى الرقطاء في ظلمات نفس شهرزاد — شهرزاد الحكيم طبعاً — من شر وكيد وختل وخداع وخيانة وتدبير سيئ ... ولهذا قالت شهرزاد في القصر المسحور وهي تتميز من الغيظ على توفيق الحكيم : « ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد ! » ثم قالت : « سيأتيه علم ما لم يعلم من أمر شهرزاد ! »

هذا فرق ما بين الغموضين ، وللغموض نصيب عظيم من السرق الذي أرجف به المرجفون ، وتخرّص به المتخرّصون

أما فرق ما بين شهريار الحكيم وشهريار العميد فليس يحتاج إلى إسهاب ولا يفتقر إلى إطناب . وحسبك أن تذكر ما كان من غفلة شهريار الحكيم التي سماها معرفة ، وسكوته على ما قتل بسببه وزيره نفسه حينما انسل العبد من مخدع شهرزاد . ذلك السكوت الذي سماه الحكيم فلسفة . ثم حسبك أن تعلم ما كان من سهر شهريار العميد على أمور رعيته ، وحسن التفاته إلى تصريف أمورها ، واضطلاعه بما يعود عليها بالخير والنظام . . . حسبك هذا وذاك لتقدر أنت فرق ما بين الملكين

أما أنا . . . أما فاتنة . . . فاني كما علمت أبرع شخصيات الأدب المصري الحديث ... إني أتمم شخصية شهرزاد . بل أنا روحها الحالم ... بل أنا شبحها الهائم ... بل أنا غناؤها الباغم . بل أنا منطقها السليم وسحرها العظيم وتدبيرها الكريم وقلبها الرحيم ... بل أنا حدبها على الرعية ، واستخفافها بالطغاة ، وعذابها المسلط على الملوك المستبدين الذين ذاق بعضهم بأس بعض ، وعذب بعضهم بأيدي بعضهم الآخرين ... بل أنا هذه الديمقراطية العزيزة التي أجج لها الطغاة الآثمون تلك الحرب الطاغية الآثمة القائمة ... الديمقراطية التي ترد الصواب إلى الفرد

الغرور ، وتعيد السلام إلى العالم ، والجمال إلى الجنة ... أنا الديمقراطية التي تبعث العزة فى نفوس الأفراد ، والكرامة فى قلوب الشعوب ، فلا يسيمها الحاكمون بأمرهم الخسف ، ولا يسلط عليها فرد واحد مجنون فيجعل أمنها خوفاً ، وقوتها ضعفاً ، وعيشها شظفاً ، وجهودها هباء ، ورخاءها عناء ، وفَرَجَها شدة ، وسلامها حرباً ، وعِلْمَها شراً ، وعلماءها أبالسة ، وقادتها أفاكين

إستمع إلىّ أقول لأبى وهو يحاورنى : « ... متى رأيت الملوك يقدمون على حرب لا تدفعهم إليها شهواتهم الجامحة وعواطفهم الجائرة ؟ ومتى رأيت الشعوب تجنب هذه الأهوال وتعصم من الحرب لغير مصالحها المؤكدة ومنافعها المحققة ...؟... إن أثرة الملوك والسادة والزعماء هي التى تثير الحرب دائماً وهى التى ترهق الشعوب دائماً ... ! »

فإذا قال لى أبى : « فقد كنت أرجو أن يهيىء لك علمك وحكمتك ابتكار لون من ألوان الحياة لا تشقى فيه الشعوب بسعادة الملوك والزعماء ! .. » قلت له فى بعض الذى أجيبه به : « فأنبئنى يا أبت ما بال هذه الرعية لا ترفق بنفسها ولا تعنى بأمرها، ولا تفكر فى مصالحها ، وإنما ندعوها فتجيب، ونأمرها فتطيع ، وتوجهها إلى حيث نشاء فتتجه إلى حيث نشاء لا يخطر لها أن تأبى إذا بلغها الدعاء ، ولا أن تعصى إذا صدر إليها الأمر ، ولا أن تمتنع إذا وجهت إلى حيث لا تحب ... ؛ فما طاعتها لنا فى غير روية ولا تفكير ، بل فى غير فهم لما نؤمر به وتقدير لما تدعى إليه ؟... »

أرأيت إلى كيف مثلت الديمقراطية أروع تمثيل وأصدقه ؟ وهل سمعت إلى أفضح الطغاة والمستبدين ، وآخذ على الأمم المستضعفة رضوخها لهم وعدم الثورة عليهم ، وطاعتها إياهم فى غير روية ولا تفكير ولا فهم ولا تقدير ؟! ... وأنا مع ذلك الديمقراطية المتعلمة المثقفة التى لا تصدُر عن الطيش ولا يتلاعب بها الرعاع . وليست هذه الديمقراطية التى تدخن القنب فى حانة أبى ميسور ، وتنام فى أحضان العبيد ، وترهن السيف لتقضى ليلة هانئة ؛ لكنها الديمقراطية التى تثل عروش المستبدين وتقوم على الجد ولا ترضى العبث وترفض أحلام روّاد الحانات التى يدخن فيها ا ... الديمقراطية التى انتصرت على قوات الشر

« ... وردت إلى شعوب الجن حقوقها المغصوبة وحرياتها المسلوبة ... ومن يدرى ! لعل علم الجن أن يصل إلى الناس ذات يوم أو ذات قرن واضحاً جلياً لا لبس فيه ولا غموض ؛ أو لعل عقول الناس أن ترتقى ذات يوم أو ذات قرن إلى حيث تفهم عن الجن فى غير مشقة ولا جهد . يومئذ أو قرنئذ تصلح أمور الإنسان كما صلحت أمور الجان

قالت : « وعكف شهريار على نفسه يتدبر ما سمع ويستحضر ما شهد ويتذكر ما رأى ، وكأنه أنسى نفسه فى هذا المكوف ، حتى أقبلت شهرزاد وقد ارتفع النهار . وسمعها تقول فى صوت حازم باسم معاً : « لشد ما هانت عليك أمور الملك يا مولاى ! ها أنت ذا تخلو إلى نفسك فى زاوية من زوايا غرفتك كأنك فرد من أفراد الناس قد فرغ للفلسفة والتفكير . ألم تحاسب نفسك على هذا الوقت الطويل الذى أنفقته فى غير شئون الملك ! ألم يخطر لك أن للشعب حقوقاً يجب أن تؤدى إليه ، وإن أوقات الملوك ليست خاصة لهم من دون الرعية ؟ »

قال الملك دهشاً ... « يا عجباً ! كأنما أسمع حديث فاتنة »

قالت شهرزاد ذاهلة : « فاتنة ! فاتنة ! ليس هذا الإسم علىّ غريباً ، وأحسب أن لى بى عهداً قريباً »

قالت فاتنة : « فأنا إذن أتمم شخصية شهرزاد ... بل أنا روحها الحالم . بل أنا شبحها الهائم . بل أنا غناؤها الباغم . بل أنا منطقها السليم ، وسحرها العظيم . وتدبيرها الكريم . وقلبها الرحيم »

أما أبى ... أما طهمان بن زهمان ، فهو الذى أدبنى فأحسن تأديبى ، وهو الذى كان يخفق قلبه بمحبة شعبه فنشر المدارس بين طبقاته ليعلمه الديمقراطية . وهو الذى « رفع بعض النابهين من الدهماء إلى مناصب الدولة » مُعرضاً نفسه لسخط الأمراء وكيد الشيوخ من رؤساء العشائر ، فوصل من الديمقراطية إلى كثير مما كان يريد ...

فشهرزاد وأبى طهمان وأنا ... إنما نكون هذا الثالوث المقدس الذى ألفه العميد لتهذيب روح شهريار ، ولإنقاذ هذا الروح من البرم والتوجس والتشاؤم الأسود الذى عصف به منذ خانته زوجه . وقد نجحنا فى هذا ، وبلغنا منه ما نريد »

قالت فاتنة : « فاسأل المرجفين إذن أين هو السّرق الذى يدعونه ؟ بل أين أوجه الشبه بين كل ؟ أيكفى أن يسأل شهريار

شهرزاد ما هي ، وما ذا تريد ؟ ليكون هناك أخذ وسرق وسطو ... أم يكفي أن تتذرع شهرزاد العميد ببعض الغموض إبقاء على سحرها وجمالها وأسرها ، ليدعي الخراصون أن الغموض من (اختراعات !) الحكيم المسجلة فلا ينبغي لأحد غيره ، وإلا سرق هذا (الغير) وسطا !

وبعد ... فلندع هذا اللغو وذاك العبث ، ولنطلب إلى عميد الأدب العربي مواصلة لياليه لأنها فتح جديد في أدب القصة ، وقد قرأنا كل ما ألف العميد بعد « الأيام والهامش » فلم نجده أحسن كما أحسن في تلك الأحلام الرائعة الخالدة التي لا ترتهن بظرف من الظروف ، ولا بعصر من العصور كما ادّعى بعضهم .

ادريس مشية

تحية

إلى تاج العـــــراق

[في مقدم مليكه العزيز « فيصل » الثاني ، ضيف وادي النيـل]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لَمَحْتُ بِجَنَّاتِ مِصْرٍ شُعَاعَا ... لِأَنْوَارِهِ صَفَّقَ الشَّاطِئَانْ
غَزَا طَيْفُهُ كُلَّ قَلْبٍ وَشَاعَا ... فَلَمْ يَخْلُ مِنْ صَفْحَتَيْهِ مَكَانْ
تَهَادَى فَحَيَّتْ الرُّبَى وَالْيَفَاعَا ... وَشَمْسَ الضُّحَى مَوْكِبًا مِنْ حَنَانْ
فَيَا « نِيلُ » مَنْ هَزَّ فِيكَ الْبِقَاعَا ... مَلَاكٌ وَفِي كَفِّهِ صَوْلَجَانْ
حَمَى اللهُ أَيَّامَهُ أَنْ تُرَاعَا ... وَوَقَّى لَيَالِيهِ رَيْبَ الزَّمَانْ ...

... وَأَعْلَى مَعَ الشَّرْقِ مُلْكًا حَوَاهْ
وَنَهْرًا تَهِيمُ بِهِ ضَفَّتَاهْ
وَتَاجًا عَلَى الْبَأْسِ يَرْسُو عُلَاهْ
وَشَعْبًا إِلَى « مِصْرَ » يَهْفُو هَوَاهْ
وَرَبْطًا لَنَا فِيهِ عَهْدُ الْحَيَاهْ
خُطَانَا إِلَى كُلِّ مَجْدٍ خُطَاهْ

فَدِجْلَةَ وَالنِّيلِ ذَاقَا الرَّضَاعَا ... شَقِيقَيْنِ دِينًا ، وَنَجْوَى لِسَانْ !
فَيَا تَاجَ مِصْرَ أَتَتْكَ الشُّعُوبْ ... مِنَ الشَّرْقِ تَسْكُبُ أَحْلَامَهَا
وَأَلْقَتْ إِلَيْكَ زِمَامَ الْقُلُوبْ ... فَكُنْتَ هَوَاهَا وَإِلْهَامَهَا
إِذَا أَرْعَشَتْ جَانِبَيْهَا الْكُرُوبْ ... أَسِيتَ ، وَآسَيْتَ آلَامَهَا
إِذَا مَسَّهَا فِي سُرَاهَا لُغُوبْ ... إِلَى النَّجْمِ طَيَّرْتَ إِقْدَامَهَا
فَأَنْتَ لَهَا فِي ظَلَامِ الْخُطُوبْ ... صَبَاحٌ يُنَوِّرُ أَيَّامَهَا ...

... وَيَنْشُرُ فِي كُلِّ وَادٍ ضُحَاهْ
فَيَنْسَى بِهِ كُلُّ قَلْبٍ أَسَاهْ
عَلَى النَّهْرِ أَوْ فِي هَجِيرِ الْفَلَاهْ
زَمَانٌ « بِفَارُوقَ » صَاحٍ سَنَاهْ
مَلِيكٌ عَلَى الشَّرْقِ تَحْنُو يَدَاهْ
رَعَى مُلْكَهُ ، وَرَعَاهُ الْإِلَهْ !

تَحَتْ أُمَمُ الشَّرْقِ تَبْغِي الْهُبُوبْ ... فَهَيَّا لِنَرْفَعَ أَعْلَامَهَا

* * *

مِنَ الرَّافِدَيْنِ أَضَاءَ الْقِبَابْ ... شُعَاعٌ بِمَهْدِ الْعُلَا يَرْفُلُ
سَرَى وَالرَّبِيعُ يَحُثُّ الرِّكَابْ ... إِلَى الدَّوْحِ فِرْدَوْسُهُ الْمُخْضِلُ
فَكَانَا رَبِيعَيْنِ بَيْنَ الشِّعَابْ ... يُحَيِّيهِمَا الْحُبُّ ، وَالْجَدْوَلُ
وَهَذَا يُنَاجِيهِ قَلْبُ الشَّبَابْ ... وَهَذَا الطُّيُورُ لَهُ تَهْدِلُ
وَلَكِنْ رَبِيعُكَ أَنْقَى إِهَابْ ... وَأَخْلَدُ فِي الرُّوحِ يَا « فَيْصَلُ » !

فَمَوْجُ « الْفُرَاتِ » جَرَى فِي رُبَاهْ
وَأَحْلَامُ « بَغْدَادَ » فَضَّتْ شَذَاهْ
وَقَلْبُ « الْعِرَاقِ » انْتَشَى مِنْ صِبَاهْ
وَرَقْرَقَ آمَالَهُ فِي سَمَاهْ
غَدًا مِنْ يَدَيْكَ يُلَقَّى مُنَاهْ
وَفِي ظِلِّ عَرْشِكَ يَجْنِي جَنَاهْ ...

وَنُصْبِحُ بِالشَّرْقِ فَوْقَ الْعُبَابْ ... عَلَى وَحْدَةٍ ... دِينُهَا مُنْزَلُ !

محمود حسن إسماعيل

ســـليمان الحــكيم

لتوفيق الحـكيم !

للأستاذ ســـيد قطب

– ١ –

« يبدو أن فصل النقد الفني هو الفصل المتخلف في كتاب الأدب العربي الحديث . وقد لمست هـــذا في المناسبة القريبة بين الأستاذ « دريني خشبة » وبيني كما لمسته من قبل مرات .

نحن : إما أن نحب فنبالغ في الاطراء ، وإما أن نكره فنبالغ في القدح ، وإما أن نكسل فلا نستقصي عن عمل من تتصدى لهم بالنقد ، وإما أن نتحكم بمزاجنا ونفرض تحكمنا على القراء !

وسأحاول في الفصول التي أتولها في النقد الأدبي لأعلام العصر الحديث أن أتوقى كل هذا بقدر المستطاع . والله يلهمنا طريق السداد »

هـــذه هي التمثيلية الخامسة لتوفيق الحـكيم التي يستلهم فيها الـكتب الدينية أو الأساطير . وقيمة استلهام هذه المصادر وأمثالها هي في الصورة الجديدة التي يجلوها الفنان ، وفي ملء الفجوات التي يعنى بها الفن وقد لا يعنى بها الخبر ولا الأسطورة ؛ وفي التعميم الذي يخرج بها من الجو المحدود والمناسبة العارضة إلى الجو العام والحقيقة الخالدة

وتمثيلية « سليمان الحـكيم » مستلهمة من القرآن الـكريم ومن التوراة ومن ألف ليلة وليلة . فلننظر في المواد الخامة التي كانت بين يدي المؤلف حين همّ أن يصوغ تمثيليته الجديدة ، لنعرف كم استمد منها وكم زاد عليها ؟ فتلك هي الخطوة الأولى في الوزن الفني لمثل هذا العمل

قصة سليمان وأخباره في القرآن الـكريم في سورتي النمل وسبأ معروفة أو في متناول كل قارئ ، فلست في حاجة أن أثبتها هنا ، فأكتفي إذن بتسجيل نظرة القرآن إلى سليمان الحـكيم ؛ فهو نبي أوتي العلم والحـكمة ، ووُهب ملـكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلِّم منطق الطير ، وسخرت له الريح والجن والإنس

وأما قصته في التوراة فقد لا تـكون في متناول القراء ، فألخص هنا بعض ما يحتاجون إليه منها في هـــذا السياق ، وما كان بين أقواس من هذا التلخيص فهو نص منقول :

ورد في « سفر الملوك » من العهد القديم أن سليمان كان ملـكاً بعـد أبيه داود يعاصر بين أنبياء إسرائيل وكهانهم « ناثان النبي » و « صادوق الـكاهن » . وقد طلب سليمان من إلـهه أن يعطيه الفهم والحـكمة ولم يطلب لنفسه مالاً كثيراً ولا عمراً طويلاً ، فـكافأه الرب على ذلك بأن وهبه الحـكمة التي طلب والملك الذي لم يطلب

« وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق ، وكل حكمة مصر » ... وكان صيته في جميع الأمم حواليه ، وتـكلم بثلاثة آلاف مثل ، وكانت أناشيده ألفاً وخمسة[1] . وتـكلم عن الأشجار من الأرز الذي في لبنان إلى الزوفا النابت في الحائط ، وتـكلم عن البهائم ، وعن الطير ، وعن الدبيب ، وعن السمك »

وبنى سليمان بيتاً للرب جلب أخشابه وزخارفه من مختلف الأمصار حوله . وصاهر فرعون ملك مصر فـكان هذا دليلاً على عظمته !

« وسمعت ملـكة سبأ بخبر سليمان فأتت لتمتحنه بمسائل » وقد جاءت معها بهدايا كثيرة . ولما رأت سليمان وحكمته وعظمة ملـكه ، أعجبت به وبحكمته وسلطانه « وأعطته مائة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة » . وأعطى سليمان للملـكة كل مشتهاها الذي طلبت ... فانصرفت وذهبت إلى أرضها[2] »

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة – مع بنت فرعون – مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات . من الأمم الذين قال عنهم الرب لإسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم » .

وتذكر التوراة بعد ذلك أن نساء سليمان بلغن الألف عداً ، بين زوجات وسراري . وأن بعض نسائه أملن قلبه ، وكان في شيخوخته « فمال وراء آلهتهن ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورت إله الصيدونيين وملـكوم رجس العمونيين » وانتهى الأمر بغضب إلهه عليه وانتزاع الملك منه ...

وأما قصص ألف ليلة وليلة فهي معروفة كذلك لعامة القراء ؛ وقصص الصيادين الذين يعثرون بالعفاريت في قماقم

(١) ومن هذه الأناشيد « نشيد الانشاد » وقد انتفع به توفيق الحـكيم في موضع مناسب من تمثيليته واستوحاه في تعبير سليمان عن حبه .

(٢) وتذكر بعض تفاسير القرآن أنه زوجها من أحد الأمراء التابعة

مسحورة ، وقصص الأحياء الذين يسحرون أحجاراً أو أشياء أخرى ويوضع طلسم خاص لفك سحرهم معروفة كذلك

ومفروض أنه كان بين يدى المؤلف بعض ما كتبه عن « سليمان الحكيم » فى الفرنسية الفيلسوف « رينان » ، وبخاصة ما كتبه عن « نشيد الإنشاد » نشيد الحب والربيع والشباب وهو من نظم سليمان

* * *

هذه هى الخامات التى كانت بين يدى توفيق الحكيم . فلننظر كيف استخدمها فى تمثيليته

لقد انتفع بالمصادر الثلاثة على السواء ، وزاوج بينها ، وفسرها وأضاف إليها بحرية كاملة ، وهذه الحرية معترف بها للفنان الروائى بلا جدال

فهو قد اختار أن يكون سليمان نبياً كما جاء فى القرآن ، وملكا كما جاء فى التوراة . وقد جاءته الخطيئة الدينية — فى التوراة — من جانب المرأة ، فجعلها توفيق تجيئه من ناحية المرأة أيضاً ولكنها خطيئة إنسانية لا دينية . واختارت له التوراة غضب الله وانتزاع الملك ، ولكن المؤلف اختار له أن يتوب عن خطيئته وأن يقاسى عذاب ضميره

وقد أثار بين المُلك والإنسانية ، وبين الحكمة والنبوة ، فى نفس سليمان صراعاً نفسياً عنيفاً . فتغلب الملك أو تغلب الإنسان فيه عند القدرة وبدافع الرغبة ، وتغلبت الحكمة أو تغلب النبى فيه عند الاصطدام وبدافع اليأس

وبعض تفاسير القرآن زوّج « بلقيس » من أحد الأمراء ، ولكن المؤلف جعلها تعلق بحب هذا الأمير ، وجعله يعلق بحب وصيفتها « شهباء » !

ثم استعار من ألف ليلة وليلة أحد عفاريتها وأحد صياديها . ولكنه استعارها ليشيع الجو الأسطورى فى التمثيلية من ناحية ، وليستخدمها فى الصراع بين الخير والشر ، وبين الضمير والشهوة ، من ناحية أخرى ؛ وليرمز بها إلى التكامل والتصارع فى نفس الإنسان الواحد من ناحية ثالثة

* * *

ومن هــذه الخامات حاول أن ينشيء تمثيلية تعالج الصراع الأبدى بين الخير والشر وبين الضمير والرغبة — وتهدف مع هذا الصراع إلى الاتجاهات التالية :

١ — تغليب الجانب الإنسانى على الجانب المقدس فى نفس النبى ... سليمان !

٢ — قداسة القلب الإنسانى فى الحب والسخرية بجميع قوى الأرض أمام هذه القداسة

٣ — الجحود والوفاء والخير والشر ، واجتماعها فى الحب الإنسانى جنباً إلى جنب

٤ — رفع الستار عن بعض القداسات ، وغمزات للكهان وأشباه الكهان

٥ — الآلام والحرمان والعجز والفجيعة هى التى تشع الحكمة وتهدىء الفورة وتفتح البصيرة

٦ — السخرية بحكمة الإنسان المحدودة مهما سمت وبقوته مهما عظمت أمام الحكمة الكونية الكبرى

٧ — التفسير النفسى — من جانب الفن — لبعض الحوادث والروايات فى حياة العظماء !

فلنستعرض التمثيلية استعراضاً مجملاً لنرى إن كانت قد أدت هــذه الأغراض ، وإن كانت قد جمت إليها جمال الفن وحركة الحياة . وتلك شروط الرواية الجيدة بالإجمال .

(حلوان) — يتبع سيد قطب

بين القديم والجديد

بناة القاهرة المسلمون

MOSLEM BUILDERS OF CAIRO

تأليف السيدة ر . ل . ديفونشير

للدكتور محمد مصطفى

جلستُ إلى جانبها فى عربة يجرها جوادان كريمان ، أحدهما أشهب والآخر تغلب فى لونه الحمرة ، ويقودها سائق فحل عريض المنكبين قوى البنية . وكنا نتحدث فى التاريخ الإسلامى ، وفى الفن الإسلامى ، وفى مجموعة المساجد والمبانى الأثرية الإسلامية التى تضمها القاهرة بين أسوارها ، والتى لا يوجد لها نظير فى بلد آخر . واسترسل بنا الحديث فجعلنا ننتقل بين عصور الفن والتاريخ المختلفة . وكان السائق الفحل يملأ مكانه فى خيلاء وغرور ، ويسوق جواديه مترفقاً بهما ، وهما ينصاعان له هادئين ، كأنهما قد استسلما لحبيب يبادلانه الحب ، ويعملان جهدهما على إرضائه . ومن وقت إلى آخر كانت السيدة الجالسة إلى جانبى ترسل إلى الجوادين الكريمين نظرة تدليل وإعجاب . ومرت بنا العربة فى طريق من طرق القاهرة القديمة التى لم تنلها يد المدنية الزائفة بالتخريب والتشويه ، ولم تصل إليها وسائل النقل الحديثة بأصواتها المزعجة . طريق من تلك الطرق الضيقة الكثيرة المنحنيات والتعاريج ، والتى تعلوها « مشربيات » البيوت الأثرية من الجانبين ، فتترك فى أعلاها شقاً ضيقاً يظهر منه القليل من زرقة السماء ممزوجاً بالقليل من أشعة الشمس ، وتتخلله مآذن المساجد الشاهقة ، شامخة برؤوسها تحدث عن عظمة بناتها

وصمتت السيدة فصمت احتراماً لها ، وجعلت أتطلع إلى منظر هذا الطريق فاستهوانى ، وتملكنى سحره وانتقل بى إلى زمن مضى ، فخيل إلى أننى عدت شاباً فتياً مزهواً بعنفوان شبابه ، وأننى أجلس إلى جانب فتاة هيفاء ترنو إلى بعينيها النجلاوين ، لتزيد من أثر فتنتها فى نفسى . وإذ كنت غارقاً فى هذه التأملات ، سقط شعاع دقيق من أشعة الشمس على رأس الجواد الأشهب ، وانتقل منها إلى ظهره ، ثم إلى رأس السائق الفحل ، ثم أصاب عينى فآلمنى وأيقظنى وعاد بى إلى الحقيقة السافرة . ونظرت إلى السيدة الجالسة إلى جانبى فوجدتها كأنها عادت هى الأخرى من ذكريات عزيزة حلوة ، وقالت كمن يحدث نفسه : يا لها من طريق جميلة ! ... وقلت مؤكداً : حقاً ! إنها طريق جميلة ساحرة . . . وكيف لا تكون جميلة ساحرة وقد ملكت علىّ مشاعرى ، فعشقتها من أول نظرة ، وعشقت معها هذه البيوت القديمة التى تطل عليها ، وهذه المساجد والمآذن التى تقوم على جانبيها ، وعشقت هذا القليل من زرقة السماء الممزوج بالقليل من أشعة الشمس ، بعد أن كنت أنظر إلى السماء والشمس فيبهرنى جمالها ويعمى عينى فلا أتبين منه شيئاً ! وشكرت السيدة الجالسة إلى جانبى لأنها حببت إلى كل هذا ، وقادتنى لرؤية هذا السحر والجمال .

هذه هى السيدة « ر . ل . ديفونشير » وهى سيدة وقور ، يعرفها أغلب سكان تلك الأحياء القديمة الجليلة ، ويقابلونها بالإجلال والاحترام . وهى من جانبها تسر لرؤيتهم ، وتتحدث معهم باللغة العربية كأنها واحدة منهم . وقد اعتادوا — منذ عشرات السنين — أن يروها تمر فى أحيائهم كل أسبوع ، وفى صحبتها جماعة من نزلاء مصر ، تقودهم ليستمتعوا بجمال هذه الأماكن الأثرية ، ويدرسوا معالمها ، ويتبينوا بأنفسهم مكان حضارة مصر بين حضارات الأمم الأخرى . ولا شك أننا مدينون لها بالشكر والثناء للدعاية الطيبة التى ما زالت تنشرها لبلدنا الذى عاشت فيه طويلاً وأحبته كثيراً . فقد تطوعت — على الرغم من تقدمها فى السن — أن تقود فى أيام معينة فريقاً من رجال وسيدات القوات الحليفة الموجودة بين ظهرانينا ، ليشاهدوا أماكن الحضارة المصرية من متاحف ومعاهد ومبان أثرية ، ليلموا بالناحية الثقافية فى مصر إلى جانب ما يجدونه فيها من وسائل اللهو والتسلية .

وقد ألفت هذه السيدة الفاضلة عدة كتب عن مصر الإسلامية ، يبحث بعضها فى التاريخ ، والبعض فى فن العمارة ، والبعض الآخر فى نواحى تأثير الفن الإسلامى فى الفنون الأوربية . أما كتابها الذى ظهر أخيراً « بناة القاهرة المسلمون » فهو

يبحث فى تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامى إلى وقت الحملة الفرنسية (١٧٩٨م) . وقد فصّلت فيه أخبار حكام مصر وولاتها وملوكها وسلاطينها ، وما خلفوه من آثار وبنوه من مساجد ومدارس ومارستانات وتكايا وقناطر وحمامات وقباب ومدافن وغير ذلك من المبانى .

وتكلمت فى الفصل الأول من هذا الكتاب عن دخول العرب مصر ، وولاية عمرو بن العاص ، وتشييده جامعه إلى جانب مدينة الفسطاط . وأشارت إلى من خلفه من الولاة ، حتى جاء أحمد بن طولون والياً من قبل الخلفاء العباسيين ، الذين كانوا قد اتخذوا إذ ذاك مدينة سامرّا (سُرّ من رأى) عاصمة لبلادهم . وجلب ابن طولون معه من سامرا المعماريين والفنانين ، فنسجوا فيما شيدوه بمصر من المبانى والعمائر على نسق الطرز الفنية التى كانت مزدهرة فى بلادهم فى ذلك الوقت . لذلك نجد أن جامع أحمد بن طولون مبنى على طراز جامع سامرا من حيث تخطيطه وزخارفه وشكل مأذنته ، حتى أنهم استعملوا فى بنائه الآجرّ (الطوب الأحمر) الشائع فى العراق بدلاً من الحجر الجيرى الذى كان يستعمل بكثرة فى مصر لقرب محاجر جبل المقطم

وتحدثت فى الفصول التالية عن انتقال الحكم فى مصر إلى الخلفاء الفاطميين وتأسيسهم مدينة القاهرة . فتكلمت عن أخبار خلفائهم وما بنوه من جوامع ومساجد كالجامع الأزهر والحاكم ، ثم استئثار الوزراء بالسلطة فى أواخر العصر الفاطمي وما بنى فى عصرهم من المبانى مثل السور العظيم الذى بناه أمير الجيوش بدر الجمالى مع باب الفتوح وباب النصر وباب زويلة ، وجامع الجيوشى ، وجامع الأقمر ، ومشهد السيدة رقية وغير ذلك . ثم مجىء صلاح الدين الأيوبى إلى مصر واستقلاله بالحكم بها ، وقيام الدولة الأيوبية ، وبناء قلعة القاهرة لصد هجمات الصليبيين المحتملة فى ذلك الوقت . إلى أن قامت دولة المماليك البحرية ، وانتقلت الخلافة العباسية إلى مصر أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، بعد أن فتح التتار بغداد . ثم ذكرت أخبار من حكم مصر من سلاطين دولتى المماليك البحرية والبرجية وأمرائهم وشدة شغفهم بالفنون الجميلة التى ازدهرت فى مصر فى عصرهم ، وتشييد المبانى الفخمة مثل جامع الظاهر ومارستان قلاوون وجامعه ومدفنه وجامع بيبرس الجاشنكير وسلار وسنجر الجاولى والناصر محمد بن قلاوون والسلطان حسن وبرقوق وبرسباى وجقمق وأينال وخشقدم وقايتباى والغورى . إلى أن كانت موقعة « مرج دابق » الشهيرة بين العثمانيين ومماليك مصر ، وانتصر فيها السلطان سليم الأول العثمانى على السلطان قانصوه الغورى ، وفتح العثمانيون مصر فى سنة ١٥١٧ م ، فصارت منذ ذلك الوقت ولاية عثمانية ، إلى أن جاء المغفور له محمد على باشا الكبير فحررها من ربقة الإدارة العثمانية

وأفردت الفصل الأخير من كتابها لذكر أخبار ولاة مصر العثمانيين وما بناه بعضهم من المساجد والمبانى الأخرى ، رغماً من حالة الاضطراب التى كانت سائدة فى هذا العصر ، والسياسية التى كانت تتبعها الدولة العثمانية فى كثرة تغيير الولاة ، لكى لا يتوفر لأحدهم الوقت لتقوية مركزه والاستقلال بالبلاد . وبينت فى هذا الفصل كيف تأثر فن العمارة فى مصر ، بعد فترة انتقال قصيرة ، بفن العمارة العثمانى ، وهذا هو السبب فى أننا نجد بعض المساجد من هذا العصر مبنية على نسق جامع « أيا صوفيا » بإستامبول فى تخطيطه وبعض زخارفه . ومن أكبر مبانى هذا العصر جوامع حاير بك وسليمان باشا والملكة صفية وغيرها . وكذلك بيت جمال الدين الذهبي وبيت السحيمى ، وأخيراً بيت الكريدلية الذى اتخذه اللواء جاير أندرسون باشا فى السنوات الأخيرة مقراً لسكناه ، وكون لنفسه فيه مجموعة كبيرة من التحف أهداها عند سفره إلى انجلترا — للحكومة المصرية ، لتبقى فى هذا البيت كمتحف باسمه تابعاً لدار الآثار العربية

* * *

ولكن ، يا سيدتى الفاضلة ! إن هذا البلد الحبيب إليك له عليك حق آخر ، وواجب أنت مدينة له به . وإنى أتقدم إليك اليوم على صفحات « الرسالة » لأطلب منك أن تقوى بأداء هذا الواجب ، فيحفظ لك هذا البلد الأمين ذكرى خالدة تبقى إلى جانب ما ألّفتِ من كتب وأبحاث . لقد قضيت فى مصر وقتاً هو بمثابة انتقال بين القديم والجديد ، فهلا دوّنتِ ذكرياتك ومشاهداتك وتجاربك ، لتبقى لمؤرخى هذا العصر يجدون فيها رأياً حراً لشخص أجنبي جاء إلى هذا البلد وأحبّه وعاش فيه وساهم فى نهضته الوطنية والثقافية ؟ لقد عشت حوالى أربعين سنة فى مصر ، كنت فى خلالها على صلة وثيقة بكبراء البلاد

وعظمائها ومن وفدوا عليها من رجالات البلاد الأخرى ، وكنت موضع احترام الكبير والصغير . وهذه — كما تعلمين — حقبة من الزمن طويلة فى تاريخ مصر الحديث ، لا شك أنك تتبعت فى أثنائها حوادث النهضة الوطنية التى كان لها أكبر الأثر فى تغيير مجرى التاريخ . ثم شاهدت عصر النهضة الثقافية فى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول ، وما كان له من أياد كريمة فى نشر الثقافة والعلوم وإنشاء المعاهد المختلفة فى أنحاء البلاد . وها أنت ذا تحضرين عهد ابنه الملك المفدّى « فاروق الأول » حفظه الله ، وتشاهدين أعمال الإنشاء والإصلاح والتجديد

أيتها السيدة الفاضلة : بالله عليك ، تكلمى وحدثينا ، هل كان الأجدر بنا أن نبقى على القديم . . . وهل نحن أفلحنا فى الانتقال من القديم إلى الجديد ؟ . . . وهل نحن حقاً فى بداية عصر جميل جديد ؟ . . . أم لا تزال هناك بعض الشوائب علقت بهذا الجديد فشوهت جماله ؟

لا شك أننا قد خطونا فى تقدمنا نحو الجديد بخطى واسعة وأنه قد آن لنا أن نحد من سرعة هذا التقدم ، فنعمل على تقوية أخلاقنا وتقويمها ونشجيع البحث العلمى الصحيح ونشر الآداب والعلوم على شرط أن نعاقب على السرقات الأدبية والعلمية ، ونطهر مصالحنا العامة من « أدوات الحكم » الماضى . حقاً سيدتى ! إننى أعرف رئيساً فى مصلحة حكومية ، يحكم فيها — بدون لائحة داخلية أو نظام للعمل — حكماً دكتاتورياً ، فى وقت تحارب فيه الدكتاتورية ، ويفخر بأن له ٣٢ سنة خدمة فى هذه المصلحة ، مع أنه لم يحصل فى أثناء هذه المدة الطويلة على شهادة دراسية من أى نوع كان ، ولم يؤلف خلالها أى بحث علمى أو مقال صغير ، بالرغم من أن هذه المصلحة يجب أن تكون فى صفوف المعاهد العلمية الراقية . ولى صديق عزيز طبع فى كل شىء على نقيض هذا «الرئيس» ؛ فهو متعلم وله أبحاث علمية وذو خلق قويم مع عفة نفس وشهامة وترفع عن إيذاء مرؤوسيه . وشاء حظ هذا الصديق أن يشتغل فى هذه المصلحة ؛ فما قولك يا سيدتى فى أن هذا «الرئيس» يغار من صديقى ويحاول أن يحقر من شأنه ويحول دون مواصلته أبحاثه العلمية ولا يدع له أى مجال لإظهار كفاءته ومقدرته على العمل ، ولا يراعى فى ذلك الصالح العام . وقد بلغ السفه بهذا « الرئيس » أن سب مصور هذه المصلحة ورماه بالسخف لأنه التقط صورة صديقى إلى جانب كبير من أكبر كبراء البلد ! مع أن صديقى قام بالواجب نحو هذا الكبير ولم يشعره بكثرة تغيب الرئيس عن أعمال مصلحته وعدم محافظته على مواعيد العمل بها

هذه يا سيدتى الفاضلة حالة تكاد تكون فردية ، أرجو ألا يكون لها أو لأمثالها أى اعتبار لديك إذا تفضلت ودونت مذكراتك عن مصر . وإننى أرى أن نهدم هذه البقية الباقية من فترة الانتقال هدماً لا قيام لها من بعده ، قبل أن نتابع طريقنا نحو الجديد الجميل ! . . .

محمد مصطفى

مساعد فنى دار الآثار العربية

حكم فى القضية العسكرية ١٤٠ مركز بنى سويف سنة ١٩٤٣ بحبس عزوز عبد التواب من سدمنت ثلاثة شهور وغرامة ١٠٠ جنيه للاتجار فى الكيروسين بغير ترخيص

معـــركة الأزور

للشاعر الإنجليزي ألفريد تنيسون

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة

(بقية ما نشر في العدد الماضي من ترجمة القصيدة)

وفيما كانت « سان فيليب » تشرف علينا من موضعها هذا إشراف السحابة التي توشك أن تنفض بصواعقها في توائر وعنف، كانت أربعة من الغلايين(١) الإسبانية قد انحازت عن الأسطول جانباً ، فاستقر اثنان منها على يسار سفينتنا واثنان منها على يمينها ، ثم انثالت قذائف الدمار علينا منها جميعاً . ولكن سرعان ما تبينت سان فيليب حرج موقفها فارتدت مبهورة ، وفي جوفها ما يقض ويرمض ... ثم انحدرت إلى سفينتنا عُصب من سائر السفن تقاتلنا يداً بيد . اثنتى عشرة مرة يقتحمون صفوفنا برماحهم وقذائفهم ، واثنتى عشر مرة ننفضهم عنا كما ينفض الكلب الوائب من الماء أذنيه البليلتين(٢)

... أخيراً بقل وجه النهار وتوارت الشمس بالحجاب ، ثم طلعت نجوم الليل فوق صفحة المحيط الدافق ؛ ولكن المعركة القائمة بين سفينة واحدة وثلاث وخمسين لم تكف لحظة ... فقد كانت (غلايينهم) السامقة تنساب إلينا سفيناً بعد سفين ، على مدى فترة الليل الطويل ، فتقذفنا بجاحم من متسعّر نارها ومتأجج حممها ؛ ولكنها ما ترتد إلا وقد تخضبت بدم قتلاها وتجللت بسواد فضيحتها وعارها . لقد ابتلع اليم فريقاً منها ، ومزقت قذائفنا فريقاً آخر لم يعد يملك معه للنضال سبيلاً(٣) . فيا لها من موقعة عجب ، لم تقع عين لها من قبل على شبيه !

كانت سفينتنا لا تزيد على حطام متناثر عند ما راح قائدنا يهتف في قوة : ناضلوا ، ناضلوا ! وما كادت تولى بُهْرة هذا الليل المتقاصر حتى أصيب بجراحة غادر من أجلها ظهر السفينة إلى حيث يضمَّد له(١) . . . ولكن قذيفة أخرى مسددة شقت طريقها إلى طبيبه الذي يقوم عليه فخر في موضعه صريعاً ، وأصيب هو بجراح أخرى في جنبه وفي شواه ، فما كان إلا أن هتف مكرراً دعوته : ناضلوا ، ناضلوا !

* * *

انحسر نقاب الظلام ، وذر قرن الشمس على الأفق البعيد ، ورأينا الأسطول الإسباني بدعائمه النهارة قد أحصر بنا من كل وجهة ، وطوقنا في دائرة تامة . ولكن سفينة واحدة لم تجرؤ على معاودة نزالنا ، كأنما قد خشوا أن يكون في نكزنا فضلٌ من حُمة !(٢) فانحازوا إلى ناحية منا يتوكفون مغبة هذا النضال الرائع . ولم نكن قد قاتلناهم عبثاً ، ولكن حالتنا كانت بالغة الخطورة ، إذ أودى من رجالنا المائةِ أربعون في محتدم هذا الصراع اليائس ؛ وأصيب شطر الباقين بما آفهُم وأقعدهم عن التصرف مدى الحياة . أما مرضانا في قاع السفين فقد مُنوا من نفحات البرد بما يبّس أعضاءهم وشلّ قواهم ...

وهوت الرماح من أيدينا جميعاً بين متقصّد ومتأد ، ونفدت كل ذخيرتنا من القذائف والمتفجرات ، وامتلأت جنبات السفينة بكل شراع مقدود وقلس مبتوت(٤) ؛ ولكن السير

---

(١) الغليون Galleon طراز أسباني من السفن الحربية الضخمة ، وكان ربما استعمل في نقل كنوز المستعمرات من أمريكا وجزر الهند الغربية

(٢) تلقت (الانتقام) هجوم خمس عشرة سفينة في مدى خمس عشرة ساعة من الثالثة عصراً حتى السادسة من صباح اليوم التالي .

(٣) غرقت سفينتان أسبانيتان ، وجنحت أخريان إلى الشاطئ ، وخسر الأسبانيون ألفاً وخمسمائة من جنودهم وبحارتهم ، وكانوا في جملتهم يزيدون على عشرة آلاف رجل

(١) البهرة ساعة من الليل بعيد منتصفه ؛ ويبدو أن تنيسون هنا يتابع أصدق الروايات عن وقت إصابة السير رتشارد ، وهي رواية السير والتر رالي التي يدعمها بشهادة ستة من البحارة الذين نجوا واستجوبوا رسمياً في انجلترا . وإذن فمن الخطأ — كما يقول رالي — ما يزعمه بعضهم من أن السير ريتشارد أصيب في أول القتال ، ثم بقي على ظهر السفينة حتى منتصف الليل رغم إصابته ...

(٢) الحمة : السم نفسه لا الشوكة اللاسعة كما هو متعارف ، وقد نص على ذلك ابن قتيبة في باب (ما يضعه الناس في غير موضعه) من كتابه أدب الكاتب

(٣) أصيبت الانتقام بثمانمائة طلقة . كان منها ثلاثة تحت سطح الماء ، تدفق في قاعها إلى ارتفاع ست أقدام

رتشارد راح يتحدث إلينا فى كبريائه الإنجليزية فقال :

أيها الرفاق ، لقد اضطلعنا طوال يوم وليلة بحرب لن يكون مثلها أبداً ، وربحنا من المجد وكرم الذكرى ما أناف بنا على اليفاع ؛ وسنودع الحياة فى يوم قريب أو بعيد ، على نجوة هذا الشاطئ أو فى أثباج هذا اليم ، فهل نبالى متى يكون ذلك أو كيف يكون ؟ ألا أغرق لنا السفينة يا سيدى المدفعى ! أغرقها !! إجعلها شطرين . . . ولنقع بين يدى الله ولا نقع فى أيدى الإسبانيين !

وأجاب المدفعى الباسل : أجل ، أجل[1] ... ولكن البحارة اعترضوا قائلين : إن لدينا أطفالاً وخلفنا زوجات ، وها قد حفظ الله علينا حياتنا ، فلنستوثق من الإسبانيين بعهد على أن نحاجزهم فيخلوا سربنا ، لأن من الخير أن نعيش الآن حتى نعود إلى قتالهم فى مؤتنف الأيام ، فنكيل لهم الطعن خِلاجاً والضرب هَذاذَيْك ... وهكذا ألقَوُا السَّلَم إلى أعدائهم بينا اضطجع القائد الباسل يودع حياته ويجود بآخر أنفاسه[2]

وحملته ثلة من الأسبان المتغطرفين إلى سفينة قائدهم[3] فأضجعوه إلى جانب الدقل . . . وأقبل عليه القوم يزكّون عمله بلهجتهم الأجنبية المتظرفة ، ويشيدون ببطولته على مرأى منه ومسمع ؛ فما كان إلا أن نهض بينهم وهو يصيح قائلاً : لقد حاربت فى سبيل مليكتى وبلادى كما يحارب الرجل الشجاع الحق ... لم أزد على أن أديت واجبى كاملاً كما ينبغى أن يؤديه رجل ... وها أنا ، سير رتشارد جرانفيل ، أموت وملء نفسى الغبطة والاطمئنان

ثم سقط فى موضعه يكيد بنفسه حتى صفرت منه الوطاب[4]

* * *

وحدقوا بأبصارهم فى وجه الصريع الذى تجسمت فيه الشجاعة وصدق البلاء ، الذى طامن من نخوة أسبانيا ، وطأطأ من إشرافها بما تحدى به أسطولها الضخم من فلك صغير وشرذمة من الرجال قلائل ... أشيطاناً كان هذا أم إنساناً ؟ ... لقد كان الشيطان بعينه من أية وجهة نظروا إليه . على أنهم احتفلوا بإيداع جثمانه اليم احتفالاً ملؤه التجلة والتكريم .

ثم احتلوا : « الانتقام » بشرذمة من بحارتهم ذوى السحن الغريبة والوجوه السمراء . واستأنفت السفينة رحلتها فى رفقة ضحاياها ، وهى تكابد غصص الآلام من مواجعها الخاصة غب المعركة الرهيبة

وما أسرع ما نهضت الرياح من غفوتها ، وهبت عليهم محفلات من قِبَل الأرض التى اعتبدوا أهلها وعاثوا فى أرجائها مفسدين[1]

وبدأ اليم يرغى ويزبد والسماء تئن وتزمجر ، فما أسدل الليل ستوره إلا والقواصف العاتية تجتاح البحر من كل جهة ؛ والموج يتدفع حول السفن كأنما تحركه أيدى الزلازل ، ويتدفق على جوانبها وأشرعتها ، فلا ينحسر منها إلا عن دوقل مصدوع أو علم منزوع

ثم استجمع البحر قواه وعطف على الأسطول الذى أوهنت من تجلده القذائف فلفه فى أحضانه[2]

أما سفينتنا « الانتقام » فقد غاصت بدورها إلى جانب إحدى الرضام القوابع تحت الماء[3] ، مودعة حياتها إلى الأبد فى أعماق هذا الخضم الجياش .

(جرجا) محمود عزت عرفة

---

(١) كان يميل هذا المدفعى إلى رأى قائده من إغراق السفينة . وعندما تقرر أمر التسليم حاول الانتحار بسيفه فحيل بينه وبين ذلك واحتجز فى إحدى الغرف ، حتى كان ما كان من أمر النكبة التى حاقت بالغالب والمغلوب جميعاً

(٢) انطوت شروط التسليم على ضمان سلامة الباقين من الجند والبحارة وإعادتهم إلى وطنهم ، مع الاحتفاظ ببعض ذوى الرتب العالية منهم — دون سجن أو تضييق — إلى أن يتم تقديم الفدية المعقولة عنهم .

(٣) هو الجنرال ألفونسو دى باسون

(٤) توفى السير رتشارد بعد يومين أو ثلاثة من نقله ، ولا يعرف شىء على وجه التحقيق من مصير جثمانه ، وهل كان دفنه براً أو بحراً

(١) من الأساطير القديمة أن كل موقعة بحرية تتبع بعاصفة هوجاء كأنما تجىء لتعفى على آثارها

(٢) كان قد التحق بالأسطول بعد المعركة قافلة تجارية بلغ بها عدد السفن جميعاً مائة وأربعين . ولكن لم يصل من هذا العدد الضخم إلى أسبانيا غير اثنتين وثلاثين سفينة ، أما سائرها فقد تحطم أو فقد ، على مسافة غير بعيدة من الآزور

(٣) الرضام صخور عظام أمثال الجزر ، واحدتها رضمة (عن الثعالبى) ، وقد كان غرق الانتقام عند رضام جزيرة سانت ميشيل St. Michael I إحدى جزائر الخالدات (الآزور)

البريد الأدبي

اقتراح مقدم إلى المجمع اللغوى فى ضبط الخلاف بين العربية والعامية

قدم بعض أساتذة كلية اللغة العربية اقتراحاً برأى جديد يرمى إلى تقريب الخلاف بين العربية والعامية ، وإرجاعه إلى أصول ثابتة ، وقواعد مضبوطة ، تكون فيهـا العربية عربية بمقتضى هذه الأصول ، وتكون العامية عامية بمقتضى هذه القواعد ، فلا يشتبه أمر ذلك على أحد ، ولا يكون فيه أثر لتعنت أو تحكم

والأصول التى يجب أن يرجع إليها فى ذلك هى الأصول النحوية والصرفية والبلاغية ؛ فكل كلمة لا تخالف شيئاً من هـذه الأصول تكون عربية مقبولة ، وكل كلمة لا توافق شيئاً من هذه الأصول تكون عامية غير مقبولة ؛ وبهذا يكون قول العامة عباية فى عباءة غير صحيح ولا مقبول ، لأنه لا يجرى على قاعـدة الصرف فى قلب الهمزة ياء ، وكذلك قولهم توب بالتاء المثلثة ، وقولهم جعّر بالعين فى جأر بالهمز ، وهكذا . ويكون قول العامّة ترْمِس بكسر التاء والميم صحيحاً ، لأنه لم يخرج عن أوزان الاسم الرباعى ، وكذلك قولهم حُصان بضم الحاء ، وقولهم معدَن بفتح الدال ، لأن هذا كله لا يخالف قاعدة من قواعد العربية ولا يؤثر بشىء فى صميم اللغـة ولا دليل على فساده عندهم إلا أن أئمة اللغة لم ينصوا عليه فى كتبهم ، مع أن حكم أئمة اللغة فى ذلك قائم على الاستقراء النـاقص ، لأن لغة العرب من السعة بحيث لا يحيط بها إلا الله تعالى ، والاستقراء الناقص لا يفيد العلم كما هو ثابت فى علم المنطق . (. . .)

جائزة فاروق الأول فى مباراة الشعر والقصة

اجتمعت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغـة العربية ونظرت فى الجائزة التى خصصتها السيدة هدى هانم شعراوى وقدرها مائة جنيه مصرى لإقامة مباراة سنوية باسم « جائزة فاروق الأول للشعر العربى والقصـة المصرية » على أن توزع الجوائز كما يلى : ٤٠ جنيهاً للفائز الأول فى القصة المصرية ، و٢٠ جنيهاً للفائز الثانى فيها ، و٢٥ جنيهاً للفائز الأول فى مباراة الشعر العربى ، و ١٥ جنيهاً للفائز الثانى فيه ، على أن تكون المبـاراة بإشراف المجمع اللغوى

وقد قررت اللجنة أن تكون القصة باللغة العربية الفصحى ، وأن تكون مبتكرة لم يسبق نشرها ، وأن تعرض صورة من صور الحياة المصرية العصرية ، وألا تقل عن ستين صفحة ؛ وأن يكون آخر موعد لقبول الاشتراك فى هذه المباراة أول نوفمبر سنة ١٩٤٣

كذلك اشترطت فى نظم القصيدة المقررة للمسابقة أن تكون فى أحد الموضوعين الآتيين : حياة الريف المصرى — فصول السنة فى مصر ، وأن تكون مبتكرة لم يسبق نشرها ، وألا تقل عن أربعين بيتاً . وآخر موعد لقبول الاشتراك فيها أول سبتمبر سنة ١٩٤٣ ، وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو أن يختاروا أسماء مستعارة والمحكمون هم أعضاء لجنة الأدب وترسل القصص والقصائد إلى كاتب اللجنة بالمجمع .

حول مسقط رأس السيد جمال الدين

ذكر الأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمى الأفغانى أن السيد جمال الدين ولد فى قرية (أسد أباد) لا (أسعد أباد) . وقد استطعت من البحث أن أقف على ما يأتى :

١ — جاء فى دائرة المعارف للبستانى : أسد أباذ Asadabâd مدينة بينها وبين همذان مرحلة واحدة نحو العراق ، وبينها وبين مطبخ كسرى ثلاثة فراسخ وإلى قصر اللصوص أربعة فراسخ . ذكرها ياقوت وقال عمرها أسد بن ذى السرو الحميرى فى اجتيازه مع تبّع ... وأسد أباذ أيضاً قرية من أعمال بيهق ثم من نواحى نيسابور أنشأها أسد بن عبد الله القسرى سنة ١٢٠ هجرية لما كان على خراسان من قبل أخيه خالد فى أيام هشام بن عبد الملك

٢ — وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية (المجلد الثانى ص١٠٣ ما نصه : « أسد أباذ » : مدينة فى بلاد الجبل (ميديا) على بعد بضعة فراسخ أو مسيرة يوم إلى الغرب من همذان ، وهى واقعة على المنحدر لجبل أروند عند مدخل سهل خصب مزروع يبلغ ارتفاعه نحو ٥٦٥٩ قدما . وكانت أسد أباذ فى عهد العرب إبان

العصور الوسطى وفى عهد المغل (كذا) كذلك مدينة زاهرة كثيرة السكان بها أسواق عامرة . وأسد آباذ اليوم بلدة جميلة بها نحو مائتى منزل (كما يقول Bellew) يسكن بعضها أسر يهودية . ويسمى الفرس هـذه البلدة « كما يروى بعض الرحالة الأوربيين ، « أبسد آباذ » « Petermann و Bellew » وكذلك « سعيد آباذ » « Duprée و Petermann » أو « سهد آباذ » « Kerp Porter » الخ ...

ولقد حاولت أن أوفق بين ما قاله الأسـتاذ وما ورد فى الدائرتين المذكورتين فلم أوفق ؛ فبينما هى – كما ذكر – قرية خربة لم يبق منها إلا الأثر إذ هى فى دائرة المعارف الإسلامية مدينة زاهرة أو بلدة جميلة

لذلك آثرت أن أقف عند هذا الحد ، وأن أدع لقراء الرسالة فرصة البحث عن مسقط رأس ابى النهضة الشرقية .

محمود شلبي

حول « معركة الآزور »

نشر الأستاذ محمود عزت عرفة ترجمة جزء من قصيدة لشاعر الإنجليز « تنسون » وقد راعنا من الأستاذ تصرفه فى الترجمة تصرفاً شـديداً لا تدعو إليه ضرورة ، وإغراقه فى المجازات والاستعارات والتشبيهات مما لا وجود له فى أصل القصيدة ولا قبل له باحتماله ، وتعسفه فى تصيد الـكلمات الغريبة .

وقد جاءت ترجمة الأستاذ أطول من الأصل كثيراً لـكثرة ما زاد عليه من حشو وذيول .

قال الأستاذ : « كان السير رتشارد جرانفل مرفئاً بسفينته إلى جدة من جدد شاطئ الفلورز إحدى جزر(١) الخالدات ، عند ما أقبل زورق ذو مجاديف يهوى من بعيد كأنه الطائر يزف بجناحيه . وارتفع صوت من داخله يقول : السفن الحربية الإسبانية تمخر العباب ... لقد رأينا منها ثلاثاً وخمسين » . فإذا رجعنا إلى الأصل وجدناه هكذا :

At Flores in the Azoses Sir Richard Grenville lay,
And a pinnace, like a flutter'd bird, came flying from for away :
"Spanish ships of war at sea ! we have sighted fifty three ! "

(١) جعلها الأستاذ جزر الخالدات وصوابها : الجزر الخالدات ، (أنظر : المنجد ، مادة : خلد)

وترجمته : بينما كان السير رتشارد جرنفل عند فلورز فى الجزر الخالدات إذ أقبل من بعيد زورق حربى يخفق خفقان الطائر : « السفن الحربية الإسبانية فى اليم ! لقد رأينا منها ثلاثاً وخمسين ! »

ويقول الأستاذ : « وهكذا انسحب لورد هوارد بخمس من السفن الحربية فى ذلك اليوم ، وانطلق موغلاً فى اليوم حتى ذاب كما تذوب السحابة فى صفحة الأفق الغارق فى الصمت المتشح بالدفء والسكون »

ففى أى مكان من الأصل تقع هذه المجازات والاستعارات وهو :

So Lord Howard passed away with five ships of war that day,
Till he melted like a cloud in the silent summer heaven ;

وترجمة : « ابتعد لورد هوارد فى خمس سفن حربية ، حتى تلاشى تلاشى سحابة فى سماء صيفية ساكنة »

وشر من ذلك فى الحذلقة قول الأستاذ : « نحن جميعاً من أبناء إنجلترا الأمجاد وفتيانها المصاليت ؛ فدعونا نسدد الطعن وخضاً إلى هذه الـكلاب (الإشبيلية) الخواسىء أبناء الأبالسة ونسل الشياطين . والأصل : "We be all good English men. ...
Let us bang there dogs of Seville, the children of the devil.

وترجمته : « نحن جميعاً إنجليز كرام ؛ فهيا بنا نضرب هؤلاء الـكلاب الأشبيليين ، أبناء الشيطان » فأين من هذا (المصاليت والطعن الوخض) . ومثله قوله : « نطق السير رتشارد بهذا ، ثم افتر فمه عن ابتسامة ساخرة فانفجرنا جميعاً نهتف فى صوت مدو : مرحى ، مرحى ! . . . وهكذا صمدت « الانتقام » صمد عدوها دون محاشاة ، وعلى ظهرها مائة مقاتل ، وفى جوفها تسعون مريضاً قد أداءتهم العلل وبرحت بهم الأسقام » والأصل :

Sir Richard spoke and he lough'd, and we roar'd a hurrah, and so
The little Revenge ram on sheer into heart the foe,
With her hundred fighters on deck, and her ninty sick below ;

وترجمته : « نطق السير رتشارد بهذا ضاحكا فزأرنا مرحى مرحى ، واندفعت «الانتقام» الصغيرة خفيفة إلى قلب العدو وعلى ظهرها مائة مقاتل تحتهم تسعون مريضاً »

ومثل ذلك فى الإغراب قوله : « بجدت فى موضعها لا تريم » ، و «أغردعن لقائهم» و « الحاملة جاء ألف من الأطنان وخمسمائة »

ويقول الأستاذ « ألوفاً آخرين من بحارتهم يسخرون من المركب الصغير الذى ركب فيها زعموا متن الغرر ، وأقحم نفسه بلقائهم المتالف » والأصل :

Thousamds of their seamen made mock at the mad lettle craft

وترجمته : «ألوف من بحارتهم سخروا من المركب الصغير الأخرق»

هذا ، ولم يترجم الأستاذ غير ثلث القصيدة فشغل نحو صفحة من الرسالة ، وكان يمكن ألا يشغل إلا نصفها إذ الأصل طولا كذلك .

(سمالوط) محمد خليفة التونسى

هل ذلك من توارد الخواطر ؟

وقع فى يدى منذ أيام كتاب بعنوان «مصر فى قيصرية الإسكندر المقدونى» ، وهو من الكتب التى تعد حديثة ، وكاتبه هو الأستاذ إسماعيل مظهر ، فوجدته ترجمة حرفية للفصل الأول من كتاب :

History of Egypt under the Potelemaic Dynasty: By Edwyn Bevan

ولم يأت الكاتب بشىء من عنده اللهم إلا بعنوان كتابه هذا ، وحتى هذا العنوان إذا راعينا الدقة العلمية نجد فيه خطأ ، فكلمة قيصرية هذه لم تعرف إلا منذ عهد يوليوس قيصر — نسبة لاسمه — فكيف ينسبها الأستاذ مظهر إلى الإسكندر المقدونى الذى سبق قيصر بنحو ثلاثة قرون .

مختار العبادى
طالب بكلية الآداب — جامعة فاروق

ديوان أغانى البحيرة

دفقات من السنا الفتان
وانطلاق النشيد من فنان
ونقاء الضمير من روحانى
صاغها شاعر ندىّ المعانى
لم يزل كالربيع فى الريعان
عبد الحبن ؟ حسن تلك المغانى
بين موج سعى إلى الشطآن
ونسيم سرى إلى الوديان
فأذاب الفؤاد فى الألحان
فوق ثغر البحيرة الوسنان

حسين محمود البشبيشى

« كرنا » لاتينية وليست فرنسية

كتب الأستاذ الدكتور زكى مبارك فى مقال له بالرسالة أن (كرنات) منقولة عن الكلمة الفرنسية Couronna ، أى التيجان ، وفى الواقع لم تعرف مصر هذه الكلمة عن الفرنسيين ، بل عرفتها منذ حكم روما لمصر ، إذ أن كلمة (كرنات) لاتينية فى الأصل ، ونقلتها فرنسا ، كما تداولها أهل مصر ، وكان الرومان قد اعتادوا فى الحفلات أن يزينوا رؤوسهم بأكاليل عبارة عن غصون من شجر الزيتون ، على شكل تاج يطلقون عليها اسم Corona ، وهذه هى الكلمة التى أرادها الدكتور مبارك ونسبها إلى اللغة الفرنسية ، وقد أبان عن اغتباطه بنسبة هذه الكلمة للأدب الفرنسى ، ولعله يغتبط أكثر عند ما يعرف أنها كلمة لاتينية ، كثيراً ما ذكرها شعراء الرومان الغزليون والحربيون ، مثل كاتولوس وغيره من شعراء روما القدماء .

صموئيل كامل عبد السيد
بالدراسات اليونانية والرومانية — كلية الآداب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)